اعرف عدوك

الرؤية الإسرائيلية لصراعات المنطقة: تقسيم سوريا!

عبدالرحمن جاسم

تأتي دراسة «الرؤية الإسرائيلية للصراعات في الشرق الأوسط وانعكاساتها على أمن إسرائيل: دراسات لجنرالات وباحثين إسرائيليين كبار» (إشراف وتحرير أحمد خليفة، وإعداد رندة حيدر ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية) كواحدة من الدراسات التي يصدرها المركز بشكل دوري حول أمور تتناول الصراع العربي الصهيونيّ الذي لا يزال يشكّل حيّزاً مهماً من فكر وطريقة حياة العدو الصهيوني.

يتناول الكتاب موضوعاً مهماً وشائكاً في الآن عينه: كيف يرى العدو الصهيوني الصراعات في الدول المجاورة له؟ وكيف تؤثر عليه أكان سلباً أم إيجاباً؟ يضم الكتاب نصوصاً ومقالات لجنرالات صهاينة معروفين أو باحثين من جامعاتٍ معروفة. من هنا، فإن الدراسة ذات أهمية كبيرة؛ إذ يمتلك هؤلاء باعاً طويلاً سواء بحثياً، علمياً أو عسكرياً تطبيقياً على الأرض. نرى إفرام كام، ومارك هيلر، ويورام شافيتسر، وبنديتا بيرتي، وأودي ديكل، ونير بومس، وغابي تسيبوني، وشلومو بروم (وكلّهم باحثون أكاديمون معروفون)، وعاموس يدلين (رئيس الاستخبارات العسكرية الصهيونية . أمان - الأسبق)، وجدعون ساعر (نائب في الكنيست ووزير داخلية وتعليم)، ويعقوب عميدور (رئيس سابق لمجلس الأمن القومي الصهيوني) وعاموس هرئيل (معلّق عسكري).

على رأس هذه الدراسات، نذكر واحدة يقدّمها الاستخباراتي الصهيوني «العتيق» عاموس يدلين (هو في الوقت عينه رئيس معهد دراسات الأمن القومي). إذ يتناول نوعاً من القراءة للبيئة الاستراتيجية لكيان الاحتلال في السنوات التي تلت الأزمة السورية (2011) وصولاً إلى عام 2015. ثم يستشرف في الدراسة ذاتها الوضع عينه بدءاً من العام الفائت وصولاً حتى 2020. هي مغامرةٌ بلا شك، لكن مراكز الدراسات في الغرب هدفها وعملها الرئيسي قائم بشكلٍ مطرد على استشراف المستقبل، وكيفية التعامل معه ضمن احتمالاتٍ محدودةٍ وواقعية.

إذاً ما هي الصورة التي يريد يدلين تقديمها؟ أولاً، يشير بوضوح إلى ضعف الدول العربية وحتى اضمحلال دول مواجهة كبرى. «داعش» أصبحت لاعباً مركزياً وقوة لا يستهان بها. الدول الكبرى (أميركا، روسيا، وسواهما) عادت إلى لعب أدوارٍ عسكرية ـ بشكلٍ مباشر لا عبر وسيطٍ ـ في المنطقة. تطابق مصالح بين العالم «السني البراغماتي» (كما يصنّفه) وبين الدولة العبرية. الوضع الفلسطيني أخذ بالتحول صوب انتفاضة طعنٍ ودهس. وأخيراً وهذا هو الأهم: الخطر على دولة الاحتلال بات أكبر وذا تنوع أكثر عمقاً. يقدم ضابط الاستخباراتٍ بعد ذلك نوعاً من الاستشراف المستقبلي ضمن حلول للتخلص من عداوات مستقبلية من خلال محاصرة إيران عبر اتفاقيات أكثر تفاهماً وعمقاً مع الولايات المتحدة، وثانياً محاولة إضعافها عبر إنهاكها أكثر في الحرب السورية؛ متطرقاً إلى أن «التهديد الأكبر لإسرائيل هو بالتأكيد حزب الله، وعليها . أي إسرائيل - أن تتعامل مع لبنان والحزب ككيان واحد في حال هاجمها وضرب البنية التحتية كجزء

دعوة إلى «تنسيق» أكبر مع مصر والأردن والسعودية

من المعركة الشاملة». يدلين نفسه يعود في دراسة أخرى، ليشدد على وجوب اتخاذ دولة الاحتلال موقفاً واضحاً من نظام الرئيس السوري بشار الأسد، «فمحور «حزب الله»، إيران، وسوريا هو الخطر الأكبر بالنسبة لإسرائيل اليوم، فهو يتبنى هدفاً استراتيجياً هو القضاء على إسرائيل، وتشكل قدراته العسكرية الحالية والقدرات الإضافية التي من المتوقع أن يكتسبها والموارد الصناعية والعلمية عناصر كامنة لقوة إقليمية». ويؤكد في الدراسة عينها على ضرورة خلق «حليف» عربي «سني» للكيان العبري. بدوره، يؤكد رون تيرا في دراسته حول مرحلة ما بعد «سايكس- بيكو» بأنَّ تلك المرحلة قد ولت إلى غير رجعة، فنحن «أمام شرق أوسط جديد على إسرائيل لعب دور أكبر فيه، من خلال تفاهم وتنسيق أكبر مع مصر (خصوصاً فيما يتعلّق بغزّة وسيناء مثلاً) والأردن والسعودية». لكن أهم ما يتطرق إليه هو تسليح أقليات ومجموعات إثنية كالأكراد والدروز وسواهم، في دفع لهم إلى الواجهة واستخدامهم حين تدعو الحاجة، ناهيك بتقوية مجموعات محلية كجبهة «النصرة» (وتحديداً في جنوب مرتفعات الجولان السورية). الأمر نفسه ينسحب على دراسة «حان الوقت للقول وداعاً سوريا، وداعاً سايكس بيكو» لجدعون ساعر وغابي تسيبوني. يشير الاثنان إلى أن سوريا كما كانا يعرفانها، قد انتهت إلى غير رجعة ولا يمكن توحيدها من جديد. ويجدان أن تقسيمها يصب في مصلحة الجميع (اللاعبين الإقليمين جميعهم في المنطقة)، كما يسهم في كبح «داعش». ويقارب نير بومس في دراسته مسألة «حسن الجوار» مع التنظيمات الإرهابية في سوريا كـ «النصرة» وسواها. ويشير إلى تلك العلاقات ويدعو إلى تعزيزها بهدف إقامة منطقة آمنة في جنوب الجولان وتحت الحماية الصهيونية بهدف «مواصلة القتال والتمدد في اتجاه العاصمة السورية وإسقاط النظام الحاكم فيها». ويكشف الباحث ربما للمرة الأولى الدور الأردني في الصراع المحتدم في هضبة الجولان. ولأن الخطر الإسلامي التكفيري يحتاج لمزيد من التوضيح، تأتي دراسة شلومو بروم ويورام شفايستر لتقارب الأمر من خلال التأكيد على أنَّ «داعش» قد تكون تهديداً لأميركا ولكنها ليست كذلك بالنسبة لإسرائيل أقله ليس حالياً. هي لا تقوم بأي عمل عسكري في أو ضد إسرائيل. كما أنّ الصراع مع الكيان العبري لا يزال في آخر سلم أولويات هذا التنظيم. إلى ذلك، فإنّ أسلوب التصدي لحرب العصابات التي يقوم بها «حزب الله» و«حماس» (وسواهما) يمكن استعماله ضد «داعش» حال قررت القيام بأي أعمال تخريبية. بعد ذلك، تأتي دراسة يعقوب عميدور حول الجيوش العربية. يشير إلى أن بعضاً من الجيوش العربية النظامية التي كانت تهدد فعلياً الكيان العبري، قد تلقت ضربة في الصميم وتفككت وأبيدت (كالجيشين العراقي والسوري). لكن في المقابل، ظهرت قوى أخرى باتت تحتل مكانةً في الصراع كـ «حزب الله»، و«حماس»، و«الجهاد الإسلامي»، و«هذه التنظيمات تحيط بإسرائيل من جميع الجهات تقريباً، وهي تمتلك قدرات قتالية ليست بقليلة، وطابعها يحتم على اسرائيل أن تأخذ في الحسبان احتمال تغير الوضع الروتيني الذي اعتادته إلى حالة من المواجهة القتالية المباشرة معها بصورة مفاجئة. ومن هنا، «ثمة أهمية قصوى لنصل السيف الإسرائيلي واستعداد اسرائيل لاستخدامه».

يذكر أن السلسلة كانت قد أصدرت في السابق ثلاثة أبحاث مهمّة هي «المشروع النووي الإيراني: الرؤية الإسرائيلية لأبعاده وأشكال مواجهته»، و«الصناعات الأمنية الإسرائيلية: الوظيفة الاستراتيجية والاقتصادية»، و«العقيدة الأمنية الإسرائيلية وحروب إسرائيل في العقد الأخير» للباحثين والمشرفين ذاتهم.

شعر

محمد البندر: تنويعات على «الثلاثية الصوفية»

إيهاب حمادة

عنوان أيّ نص يشكّل مدخلاً رئيساً لتكوين لمحة عن الرؤية التي يحملها الشاعر. وهو، بشكل واعٍ ظاهر أو غير واعٍ باطنٍ، يختزن الملمّح السحري للنّص، ما يستدعي إعمال الفكر للقبض على الدلالات التي يختزنها. والعنوان في ديوان «لجمالك الوحشي» لمحمد البندر (دار الأمير)، يقود إلى سؤالين رئيسين حول الجمال وصفته الوحشية، وطبيعة النسبة بينهما.

الجمال في اللغة: الحسن الكثير، وهو مصدر الجميل، وما يُتجمَّل به ويتزيّن، وهو ضدّ القبح. وفي الاصطلاح: رقّة الحسن، وهو قسمان: جمال مختصّ بالإنسان في ذاته أو شخصه أو فعله، وجمال يصل منه إلى غيره. وذهب البعض إلى أنّ مفهوم الجمال لا يقبل التعريف. وعلم الجمال أو «الأستاطيقا»، علم معياري فلسفي، يدرس المبادئ العامة للموقف الجمالي الإنساني إزاء الواقع والفنون، ويحلّل المفاهيم والتصورات الجمالية.

والمتأمل في الرؤية الصوفية إلى الجمال، لا بد أن يقع على مفهومَي الجمال والجلال اللذين يتصف بهما الحق. وحقيقة الرؤية إلى الجمال لدى المتصوفة تتلخص في أن الخلق ظل الله، وأن جمال الخلق إنما هو من جمال الخالق. ويقول رائد الأدب المقارن العربي محمد غنيمي هلال (1916 . 1968) في هذا المعنى «إن الجمال عند الصوفية قسمان: حقيقي وصوري. فالجمال الحقيقي صفة أزلية لله تعالى، وقد شاهده في ذاته مشاهدة علمية وأراد أن يراه في صنعه مشاهدة عينية، فخلق العالم كمرآة يشاهد فيها جماله عياناً (وهذا هو الجمال الصوري عند الصوفية). فالعالم كله تعبير عن الحسن المطلق، والوجود كله صورة حسن الله ومظهر جماله، والتأمل في جمال الكون سبيل إلى الاهتداء إلى الجمال الحق». ولعل هذا ما دفع البعض إلى القول بتأثر النظرة الصوفية إلى الجمال، على نحو من الأنحاء، بالنظرة الأفلاطونية التي تذهب إلى أن الحب هو حب الجمال، أو حب الكمال المطلق.

وبعيداً عن التفصيل في معنى «الوحشي» معجمياً، نسوق تعريفاً أولياً حتى تتسنى لنا مقاربة الدلالة من خلال التركيب الوصفي، أو الجمعي بين الجمال والوحشي. والوحشي كل ما ينسب إلى الوحش، والأخير في «مختار الصحاح»: حيوان البر الواحد، يقال أرض مَوْحُوشَةٌ ذات وُحُوش، وأَوْحَشَ المنزل أقفر وذهب عنه الناس. وتستوقف المتأمل في هذا التركيب («لجمالك الوحشي») جملة من الأسئلة أهمها: ماهية اللام؟ الكاف للتذكير أم للتأنيث أم لكليهما؟ الجمال الوحشي تعارض بمعنى الإشارة إلى مفهوم قبح الجمال؟ إشارة إلى مفهوم الجمال الصارخ المتمكّن الحضور؟ الوحشية بمعنى الجمال الأولي البدائي؟ بمعنى غير المتناسق، أي بلا معاييرَ ومقاييس (خلاف الجمال الاستطيقي)؟هذه المعاني كلها؟ لجمالك الوحشي يهدي الشاعر المجموعة كلها أم القصيدة بعينها؟ الكاف أخيراً باعتبارها الحبيبة فحسب، أم بوصفها الأنثى أهم رموز المتصوفة للدلالة على الذات الإلهية والجمال الإلهي، لأنها بحسب ابن عربي فيها الظهور الأتم والأكمل؟

في محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة،

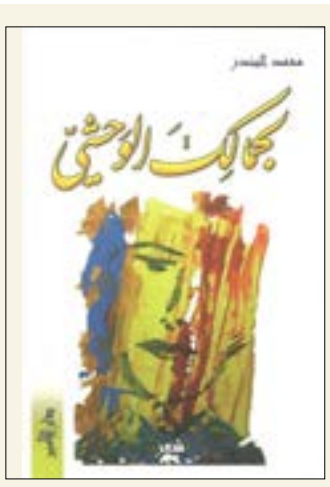

الأنثى هي الظهور الأتم والأكمل للذات الإلهية

نحاول رصد «شبكة» المصطلحات والرموز الصوفية في نص البندر.

العبارة الأشهر في الاستعمال للدلالة على لغة الصوفية هي عبارة «الألفاظ الجارية في كلام الصوفية»، وهذا ما نجده لدى أبي نصر السراج في كتاب «البيان عن المشكلات» الذي شرح ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم، كالحق والفناء والبقاء والوقت والمقام واللوامع الخ... فيما ذهب القشيري إلى بيان معاني هذه الألفاظ بعد مقدمة قال فيها: «اعلم أن لكل طائفة من العلماء ألفاظاً يستعملونها، وقد انفردوا بها عمّن سواهم، كما تواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها». ولم يشر ابن خلدون في باب التصوف في مقدمته بوضوح إلى المصطلحات الصوفية، لكنه تناولها لدى حديثه عن الشطح، فقال: «أما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس...».

يتبيّن ممّا تقدم أن لفظ المصطلحات أو الرموز (بالمعنى الاصطلاحي) لم يكن مستعملاً حتى القرن السادس، إنما الذي استعمل هو الألفاظ. وبعد تحليل سريع، يتبيّن أن اللفظ الصوفي المقصود يعني ما يعنيه المصطلح. والسؤال المطروح: هل نعتمد المصطلحات كرموز، أم أننا نعني رموزاً غير تلك المصطلحات المتعارف عليها لدى المتصوفة من قبيل الوقت والحال والمقام وغير ذلك؟ وفي معرض الإجابة، نقول إننا أمام ثلاثة ألفاظ: المصطلحات، الرموز، واللغة الصوفية. المصطلحات هي الألفاظ الجارية في كلام المتصوفة، فيما الرموز تعني أبعد ممّا يعنيه المصطلح من خلال التوظيف في النص الصوفي. وقد يكون المصطلح مستخدماً في النص بمعناه الاصطلاحي لدى المتصوفة، لكنه في النص الصوفي الحديث يستخدم كرمز له دلالة أوسع من تلك التي يعنيها المصطلح. أما اللغة الصوفية فتعني ما تعنيه اللغة بالمجمل من ألفاظ وتراكيب، وتؤدي كلها ما يؤديه الرمز. وعليه، فإننا، في نص البندر، أمام مصطلح ورمز ولغة شعرية صوفية. ومن المصطلحات التي تحولت إلى رموز: السطوع، الكأس، الظن، غار، قراءات، الظل، السراب، الغياب، الغراب، العنقود، عناق الشاربين، حانوت الخمرة، لغة الشراب، قدس، طقوس، العاشقون، العشق... وفي تصنيف سريع لهذه الرموز، نراها تنتمي إلى ثلاثية الرموز الصوفية الأم، وهي الطبيعة والأنثى والخمر.

فالطبيعة، كما يراها الصوفي، هي في مظاهرها الكثيرة انكشاف للألوهية المحايثة الباطنة. وهذا ما يعبر عنه بالكثرة في عين الوحدة. وكل مظهر من مظاهرها يحيل إلى صفة من صفات الذات الواحدة. فالحمائم، مثلاً، تشجيهم وتحرك فيهم شوقهم إلى الكينونة التي اعتبرت عندهم وطن الأوطان. والعرفانية الصوفية احتفت من الحيوان بالبقرة التي أشربت رمز النفس المستعدة للرياضة، ومن عالم الطير رمزت بالعنقاء إلى الهباء الذي فتح الله فيه أجسام العالم...

أما الأنثى فقد اتخذ المتصوفة منها رمزاً مرتبطاً بالحب الإلهي، بوصفها تمثّل الجمال المطلق. ويتضح ذلك صراحاً في موقف ابن عربي من النساء باعتبارهن تمثيلاً للجمال الإلهي، إذ إن الله ـ الحق ـ «لا يشاهد مجرداً عن المواد أبداً، لأنه بالذات غنيّ عن العالمين. فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ولم يكن الشهود إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله». ولهذا، نحا المتصوفة إلى التغزّل بهن، ولكن ليس على نحو دلالي معجمي، بل إشارة إلى معانٍ خاصة يصطفيها الصوفي بحسب وجده وذوقه.

وأخيراً، لا شك في أن للخمر ومتعلقاتها (سكر، شرب...)، بوصفها رموزاً، مكانة بارزة في الشعر الصوفي، إذ ماثل المتصوفة بينها وبين الحالات التي تعتريهم أثناء طيّ العوالم والمقامات، فكانت رمزاً من رموز الحب الإلهي الذي يبعث على الوجد الصوفي.